مقدمة

ظلت جائزة نوبل غريبة فى الوطن العربى طوال عقدى السبعينات والثمانينات لعدة أسباب ، منها انحسار الترجمة والاطلاع على الآداب العالمية الحديثة مثلما كان يحدث فى العقود السابقة من القرن العشرين ، وقد أدى هذا الانفصال إلى الجهل شبه التام بالإصدارات الأدبية العالمية الحديثة وبالتالى بأسماء مؤلفى هذه الإصدارات .

كما أن من بين هذه الأسباب أيضًا أن أكاديمية استكهولم ، التى تمنح الجائزة سنويا لواحد من الأدباء العالميين ، قد دأبت فى الكثير من المرات على منح الجائزة لكاتب مجهول . ليس فقط فيما يتعلق بعالمنا العربى الذى أصبح معزولاً تمامًا عن الثقافات الحديثة على مختلف مشارفها ، بل تم ذلك أيضا بالنسبة للمثقفين والدول التى تهتم بالتحديث والثقافات المعاصرة . وسوف نرى أنه فى خلال العشرين عامًا الماضية فاز بنوبل فى الأدب أدباء لم يعد أحد يذكر أسماءهم بالمرة .

وقد ساعد هذا الأمر على زيادة التعتيم على واحدة من أهم الجوائز الأدبية العالمية ، بل هى الأهم بالطبع ، وأثر هذا بالتالى على الجوائز المحلية التى تمنح فى الكثير من الدول لأبنائها دون الانتظار من السويد أن تمنحهم أى جائزة .

والغريب أن الجائزة التى تصورت لفترة أنها تعطى أهمية للكاتب حين تُمنح له قد دخلت دائرة الظل ، وثبت أن الكتاب فى الكثير من الأحيان هم الذين يعطون الجائزة قيمتها . وليس العكس ، فعندما تمنح الجائزة لكاتب أقل قيمة ، وأهمية ، أو لعمل إبداعى لا يرقى إلى مستوى جائزة ، فإنه سرعان ما يُنظر إلى هذه الجائزة بعين الارتياب والشك ، وقد حدث هذا مع جائزة نوبل فى بقاع

عديدة من العالم طوال السبعينات والثمانينات ، وزادت حدة هذا الأمر فى وطننا العربى خاصة بعد أن طالت المسافة الزمنية التى تجاهلت فيها جائزة نوبل الأدباء العرب .

وحدث شىء ، بل كثير ، من الانفراج والثقة بين القارئ العربى ، وبين جائزة نوبل فى عام ١٩٨٨ بعد حصول نجيب محفوظ على الجائزة ، وتحولت أمسية حصول الكاتب العربى الكبير ، وصباح اليوم التالى ، إلى عيد وطنى فى كل بيت عربى بهذه المناسبة ، وأصبح هذا الحدث بمثابة الخبر الأول فى كل محطات التليفزيون والإذاعة ، وعناوين الصحف ، قبل أى حدث سياسى آخر مهما كانت أهميته ، واكتسبت الجائزة أهمية لدى الناس حتى الأمين منهم ، وحتى الذين لم يعرفوا محفوظًا ، أو حتى الذين عرفوه فقط من أفلامه ومن صوره المنشورة فى الجرائد .

أحس الناس أن هناك حدثًا غير عادى فى الشارع المصرى ، وحدثت ظاهرة غريبة على الناس الذين تشغلهم أمور اقتصادية واجتماعية عديدة حيث التفتوا إلى أهمية الإبداع والأدب . لدرجة أن البعض أحس أن للجائزة أيضًا قيمة اقتصادية بالإضافة إلى قيمتها الاجتماعية والأدبية العالمية .

ووسط هذه الاحتفالية التى شهدها الوطن العربى فى تلك الأيام ، والتى تمتد حتى الآن بدرجات مختلفة ، ثبت أن صفوة المثقفين فى بلادنا لا يتابعون جائزة نوبل بالقدر المناسب ، وأن هذه الجائزة هى نوع من الفاكهة الثقافية التى قد يلتفت إليها البعض مرة كل عام ، ثم ما يلبث المرء أن يلتفت إلى أمور أخرى ، حتى نجيب محفوظ نفسه فى تصريحاته الأولى التى أعقبت فوزه بالجائزة أكد أن معرفته بحيثيات الجائزة ومنحها غير متكامل ، فقد تساءل مندهشًا أنه لا يعرف من رشحه لهذه الجائزة ، ولا ما هى الجهة التى رشحته ، وأن أساتذته السابقين أمثال العقاد وطه حسين كانوا أحق بالجائزة ، متصورًا أن الجائزة أشبه بجائزة الدولة التقديرية فى مصر يجب على جهات معينة التقدم بطلبات لترشيح من

يستحقون الجائزة ، أو أن الجائزة قد تمنح لغير المبدعين مثل العقاد على سبيل المثال .

ولذا ، فمن الأهمية أن نقدم للقارئ كتابًا عن هذه الجائزة ، وقد كان يمكن أن نسير فى ركاب تلك الظاهرة الغريبة التى أعقبت فوز كاتبنا الكبير بالجائزة ، بأن نصدر كتابًا متعجلاً ، أرشيفيا عن الجائزة والأدباء الذين فازوا بها ، حيث أن مجموعة كبيرة من الكتب الأرشيفية ظهرت فى هذه المناسبة راح الكثير منها أدراج الرياح ، وآثرنا الانتظار بعض الوقت لتقديم هذا الكتاب .

ومن الصعب إصدار كتاب عن كل الفائزين بجائزة نوبل ، حيث حصل عليها قرابة ثمانية وثمانين كاتبًا ، فلو وفرنا أربع صفحات عن كل أديب منهم بالإضافة إلى فصول أخرى فسوف نحتاج إلى عدد ضخم من الصفحات .

ووجدنا أنه من الأفضل أن نخصص صفحات كتاب عن الأدباء الثلاثة عشر الذين نالوا الجائزة بين عامى ١٩٨٠ و ١٩٩٢ ، أى طوال العقد التاسع من القرن العشرين دون أن نتجاهل الأدباء الذين نالوا الجائزة فى الأعوام الأخيرة .

فى شهر أكتوبر من كل عام تعلن الأكاديمية السويدية باستكهولم اسم الأديب الذى وقع عليه الاختيار ليمنح جائزتها السنوية التى ارتفعت قيمتها إلى ٥٠٠ ألف دولار ، هذا الكاتب فى غالب الأحيان إما روائى أو شاعر ، وهذه الجائزة معروفة باسم العالم الفريد نوبل .

والمعروف أنه كى تحمل الجائزة اسم نوبل ، فعليها أن تطابق وصيته التى تركها قبل وفاته ، ولكن بالمقارنة بين وصية العالم الذى وهب أمواله وفوائدها من أجل تشجيع الإبداع الأدبى والفكرى والعلمى ، وبين حيثيات الجائزة التى تمنح الآن فى خمسة فروع ، فإن هناك تجاوزات عديدة قد حدثت على مدى اثنين وتسعين عامًا التى مُنحت فيها الجائزة حتى الآن ، بعض هذه التجاوزات يمكن عدم تضخيمها والقبول بها ، والبعض الآخر يجب الوقوف عنده ، فقد أوصى نوبل أن تمنح أمواله بعد استثمارها فى شكل جوائز تمنح للذين قدموا

أعظم الفوائد للجنس البشرى فى العام السابق ، وذلك تكفيرًا عن ذنب اختراعه للديناميت الذى أراد به أن يكون ذا فائدة للبشرية فاستخدمها الإنسان للدمار .

إلا أن القائمين على أمور الجائزة فى أكاديمية استكهولم يقدمونها عامة لكاتب له تاريخه الأدبى مع التركيز على كتاب بعينه ، وهذا الكاتب يمكن أن يكون مؤثرًا فى وجدان الناس ومشاعرهم ، إلا أن هذا البند يمكن تجاوزه لأن الخروج عليه لم يحدث مشاكل عديدة خاصة بهؤلاء الذين نالوا الجائزة ، وتركت أكاديمية استكهولم ذلك الدور لعشرات الأكاديميات والمؤسسات الثقافية العالمية والمحلية أن تفعل هذا فى بلاد عديدة مثل الولايات المتحدة (بوليتزر) ، وفرنسا (جونكور) ، وإيطاليا (مونديللو) ، وأسبانيا (سرفانتس) ، ومصر (جائزة الدولة التشجيعية) ، وألمانيا (بوخنر) وغيرها من الدول .

لكن ، كما أشرنا ، كانت المفاجأة أن الجائزة قد منحت فى الكثير من الأحيان لأدباء لا يرقى أدبهم قط إلى المستوى العالمى ، الذى حققه فائزون آخرون بها ، فى الوقت الذى تجاهلت فيه أدباء لا جدال حول شموخهم مثل تولستوى ، وهنريك ابسن ، وتوماس هاردى ، وجيمس جويس ، ود . هـ . لورانس ومارسيل بروست ، وخورخه لويس بورخيس ، وجراهام جرين .

ورغم أن من حيثيات الوصية أنه ينبغى ألا ينظر للفائز حسب الجنسية ، أو الديانة ، إلا أنه من الواضح أن الجائزة ظلت خاصة بالإبداع الغربى ، والأوروبى بشكل خاص ، فهى تناصر هذا الفكر وأيدولوجيته ، وتقف إلى جوار من يؤيدونه ، كما أنها تقف إلى جوار المنشقين عن المعسكر الشيوعى سابقًا ، سواء الذين ظلوا يعيشون تحت أرضه ، أو هاجروا إلى بلاد الغرب ، فقد منحت الجائزة عام ١٩٥٨ لرواية « دكتور زيفاجو » . رغم أن بوريس باسترناك مؤلف الرواية كان يستحق هذه الجائزة عن أشعاره وليس عن روايته ، وقد اضطر الكاتب أن يرفض الجائزة بناء على أوامر سلطات بلاده ، أى أن السياسة قد تدخلت بصورة سافرة فى منع استلام باسترناك الجائزة .

نفس هذه الظاهرة تكررت بالنسبة للكتاب المنشقين مثل الكسندر سولينتسين (الاتحاد السوفيتى) ، وشيزلاف ميلوش (بولندا) ، ويوسف برودسكى (الاتحاد السوفيتى) . ثم الشاعر ياروسلاف سيفرت الذى أعلن معارضته لبلاده تشيكوسلوفاكيا ، ولم يغادر وطنه حتى وفاته .

وحتى عام ١٩٨٦ لم تمنح الجائزة خارج العالم الغربى سوى مرات قليلة ، حيث ذهبت إلى طاغور فى الهند عام ١٩١٣ ، وكاوباتا فى اليابان عام ١٩٦٨ ، وقبلها لإسرائيل عام ١٩٦٦ ، باعتبارها دولة آسيوية حين نال الأديب عساف عجنون الجائزة مناصفة مع الألمانية نيللى ساخس . وبالنظر إلى الدول التى فازت بنصيب الأسد فى الجائزة هناك فرنسا (١٢ مرة) ، ثم الولايات المتحدة (٩ مرات) ، وبريطانيا (٨ مرات) ، كما منحت أكثر من مرة للأدباء فى ألمانيا وإيطاليا وأسبانيا ، وحصل عليها أدباء السويد والنرويج (بلاد الفريد نوبل نفسه) سبع مرات .

وابتداء من عام ١٩٨٦ ، نحت الجائزة منحى غربيًا ، فأفريقيا التى تجاهلتها أكثر من ثمانية عقود ونصف تنال الجائزة فى ست سنوات ثلاث مرات تقريبا ، وكان الاختيار يمثل أفريقيا جغرافيا ، فمن الغرب نيجيريا فاز وول سونيكا ، ومن الشمال حيث العالم العربى فاز نجيب محفوظ ، ومن الجنوب فازت نادين جورديمر .

معنى هذا أن الجائزة ظلت مقصورة على شعوب بعينها ، وأن على أدباء الشعوب الذين لم تلتفت إليهم الجائزة حتى الآن أن يكتبوا الأدب على الطريقة التى تعجب أعضاء أكاديمية استكهولم ، فحتى الآن لم يفز بالجائزة أى من الأدباء الصينيين ، ولا من كندا ، وشعوب شرق آسيا .

إذن هناك اعتبارات خاصة بالأكاديمية لم تعلنها حتى الآن ، حيث أن كل ما تفعله أن يظهر المتحدث الرسمى باسمها أمام جمع من الصحفيين ورجال الأعلام ، ويقرأ سطورًا قليلة عن اسم الكاتب الذى فاز بالجائزة ، وسط سرية لم يتمكن أحد حتى الآن أن يخترق جدرانها .

فمن المعروف أن نظام منح الجائزة معقد للغاية ، يقوم عاتقه على لجنة متخصصة تتكون فى فرع الأدب من خمسة أعضاء يتم تعيينهم من البرلمان السويدى يضاف إليهم بعض المستشارين فى مجالات محددة ، ويبدأ عمل اللجنة فى أول فبراير من كل عام بسرية تامة . وينتهى عملهم فى الأول من أكتوبر بتقارير سرية عن الترشيحات التى قدمت إلى الهيئات التى تمنح الجائزة ، وتظل السرية محاطة بالاسم الفائز حتى آخر لحظة التى يتم فيها إعلانه على الملأ .

والغريب أنه لا يجوز لأديب أن يرشح نفسه لنيل الجائزة ، والنظام الداخلى فى عملية الاختيار بالغ التعقيد ، ومثير للاستغراب مما دفع بالكاتب الأمريكى ارفنج والاس أن ينتقد هذه الأساليب فى رواية ساخرة تحمل اسم « الجائزة » عام ١٩٦٣ .